المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor 1.651

العدد الرابع والعشرون _ نيسان _ 2024

مسائل وحدانية الله تعالى وعدم الإشراك به عند الإمام السيوطي (ت911هـ) في كتابه (كتاب الإكليل في استنباط التنزيل)

Issues of the oneness of God Almighty and not associating others with Him According to Imam Al-Suyuti (d. 911 AH) In his book (The Book of Crowning in Istibatāt al-Tanzīl)

إعداد
غالب محمود فارس الجدادي

بإشراف
الدكتور: طارق السعدي
جامعة الجنان/ لبنان طرابلس

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم العقيدة/ الدراسات العليا

الملخص:

"مسائل وحدانية الله تعالى وعدم الاشراك به عند لإمام السيوطي (ت 911 هـ) في كتابه الإكليل في استنباط التنزيل"

وفي هذه السطور الخص بحثي بكلمات مختصرة القي فيها الضوء على ما تضمنه هذا البحث والذي تناولت فيه المسائل العقدية في وحدانية الله تعالى وعدم الاشراك به عند الإمام السيوطي في كتابه الإكليل، ولقد سرت في بحثي هذا بتطبيق المنهج الاستقرائي واحيانا المقارن، وعرفت بالإمام السيوطي مبرزة أهم معالم سيرته الذاتية وأهمية كتابه، ثم أفردت المبحث الثاني تناولت فيه المسائل الخاصة بوحدانية الله وعدم الاشراك به وبيان موقف الإمام السيوطي وآرائه، ويلي ذلك الخاتمة التي وضحت فيها اهم الاستنتاجات التي توصلت إليها.

Summarize :

"Issues of the oneness of God Almighty and non-association with Him according to Imam Al-Suyuti (d. 911 AH) in his book Al-Ikleel fi Istinbat Al-Tanzil "

In these lines, I summarize my research in brief words in which I shed light on what is included in this research, in which I dealt with the doctrinal issues regarding the oneness of God Almighty and non-association with Him according to Imam Al-Suyuti in his book Al-Ikleel. I proceeded in this research by applying the inductive and sometimes comparative approach, and I learned about Imam Al-Suyuti, highlighting the most important Highlights of his biography and the importance of his book, then I devoted the second section in which I dealt with the issues related to the oneness of God and not associating with Him and explaining the position and opinions of Imam Al-Suyuti. This is followed by the conclusion in which I explained the most important conclusions I reached

المقدمة

الحمد لله الكبير المتعال، ذي العظمة والكبرياء والجلال والجمال والكمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وما له من سعة النعوت وعظمة الصفات, تفرد بالوحدانية والقدرة والبقاء ، وتوحّد بالعظمة والجلال والمجد والعز والكبرياء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله رحمةً للعالمين وقدوةً للعاملين ، وحجةً على العباد أجمعين.

أما بعد:

يعد التوحيد أصل الدين وأساسه، ولأجله خلق الله الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وكلمة التوحيد هي دعوة جميع الأنّبياء والرسل كافة، فخلق الله الجن والأنس وهما: الثقلان لعبادته عز وجل، لم يخلقهم سبحانه لحاجة به إليهم، فأنَّه سبحانه هو الغني بذاته عن كل ما سواه، كما قال سبحانه: ا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17) وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شيء وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى چ[1]، ولم يخلقهم ليتكثر بهم من قلة، أو يعتز بهم من ذلة، ولكنه خلقهم سبحانه لحكمة عظيمة، وهي: أنَّ يعبدوه ويعظموه، ويخشوه، ويثنوا عليه سبحانه بما هو أهله، ويعلموا أسماءه وصفاته، وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأنَّ مبناه على أنَّ الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له.

(1) سورة فاطر: 15 – 17.

انطلاقاً مما تقدم فأنَّ أهم ما علينا معرفته التوحيد قبل معرفة الواجبات كلها، وقبل معرفة المحرمات كلها، لأنَّ العقائد تمثل الفقه الأكبر تمييزاً عن الفقه الأصغر وهي الواجبات والمحرمات وأنَّ نقف عند ماهية التوحيد، وبيانَّ المسائل التي يحويها.

واقتضت طبيعة هذا البحث أن تكون من مقدمة ومبحثين في المبحث الأول ترجمة موجزة عن الإمام السيوطي.

وأما في المبحث الثاني: مسائل وحدانية الله تعالى وعدم الإشراك به، وفيه أربع مطالب:

ففي المطلب الأول: مسألة توحيد الله وعدم الشرك به.

وفي المطلب الثاني: مسألة أول واجب على المكلف.

وفي المطلب الثالث: مسألة التقليد.

وفي المطلب الرابع: مسألة إيمان المقلد.

واعقبتها بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

أهداف الدراسة:

1. تتبع مسائل وحدانية الله تعالى وعدم الإشراك به في كتاب الإكليل وعرضها.
2. عرض رأي الأمام السيوطي وأقواله في المسألة.
3. عرض رأي بعض الفرق التي أيدها أو خالفها الإمام.

وكان المنهج الذي سرت عليه–هو المنهج الاستقرائي مع–المنهج المقارن أحيانا وذلك بعرض المسألة، وكلام المؤلف ومن ثم عرض أقوال الفرق من المؤيدين والمخالفين له

المبحث الأول

ترجمة الإمام السيوطي –رحمه الله-

المطلب الأول

اسمه، ونسبه، وولادته

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

1. **اسمه:** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام[2].

2. **وكنيته:** أبو الفضل، وذكر السيوطي: "وأما الكنية فلا أدري هل كناني والدي أم لا، ولكن لما عرضت على صديق والدي وحبيبه شيخنا قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني* الحنبلي كناني أبا الفضل..."[3] .

3. **لقبه:** جلال الدين، وقد لقبه به والده[4] ، ولقب بأبو الكتب لولادته بين الكتب[5]

ثانياً: نسبه:

ينسب بالخضيري، وهي محله ببغداد تعرف بالخضيرية[6]، وذكر السيوطي عن ذلك: "وأما نسبتنا بالخضيري، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا بالخضيرية، محلة ببغداد؛ وقد حدثني من أثق به، أنَّه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أنَّ جده الأعلى كان أعجميا أو من الشرق؛ فالظاهر أنَّ النسبة إلى المحلة المذكورة"[7]، أما نسبته بالسيوطي فنسبة إلى بلدة في غربي النيل

([2]) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي: 336/1.

([3]) بهجة العابدين للشاذلي: 63.

([4]) المصدر نفسه: 63.

([5]) ينظر: النور السافر للعَيْدَرُوس: 51، والأعلام للزركلي: 301/3.

([6]) ينظر: التحدث بنعمة الله للسيوطي: 12–13.

([7]) حسن المحاضرة للسيوطي: 336/1، والوفية باختصار الألفية للسيوطي: 12.

من نواحي صعيد مصر[8]، وذكر أنَّ والده يكتب في نسبته السيوطي وغيره يكتب الأسيوطي، وذكر السيوطي أنَّ الأمرين كليهما صحيح إذ أنَّ في (سيوط) خمس لغات[9].

ثالثاً: ولادته:

ولد الامام السيوطي في القاهرة بعد المغرب، مستهل شهر رجب من عام(849هـ)، وقد نشأ في بيئة وأسرة علمية، فقد كان والده من فقهاء الشافعية وهو أبو بكر محمد بن أبي بكر، الذي ولد بأسيوط أوائل القرن التاسع، وأحتمل السيوطي ولادة والده سنة ست أو سبع وثمأنَّمائة إذ ذكر ذلك فقال : "وربما سمعت بعض أهل البيت يذكر أنَّه حين مات كان عمره ثمأنَّية وأربعين سنة، فعلى هذا يكون مولده سنة ست أو سبع وثمانمائة"**(10)**، وأشتغل بالعلم ببلده، وولي بها الحكم نيابة، وتصدر للتدريس والإفتاء زمناً، وقد مرض أياماً ثم توفى سنة (855هـ)[11]، ولم يتعرض السيوطي بالحديث عن والدته وروي أنَّها تركية [12]، وقد توفت بعد وفاته ودفنت بجواره [13].

([8]) معجم البلدان للحموي :193/1.

([9]) التحدث بنعمة الله للسيوطي: 12.

([10]) المصدر نفسه : 7 و 32.

([11]) ينظر: المصدر نفسه: 5، وحسن المحاضرة: 441/1، وبغية الوعاة: 472/1 كلها للسيوطي.

([12]) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: 65/4، والنور السافر للعيدروس: 51.

([13]) الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي لخالد الطباع: 36.

المطلب الثاني
شيوخه وتلاميذه

أولاً: شيوخه:

لقد أجتمع للسيوطي من الشيوخ مالم يجتمع لغيره وقد ساهمت نشأته العلمية واهتمامه بهذا الجانّب في كثرة شيوخه، وذكر في كتابه (التحدث بنعمة الله) أنَّ عددهم قد بلغ ستمائة نفس[14]، وقد ذكر بعض شيوخه في معجم أسماه (المنجم في المعجم)، وهو المعجم الوحيد المطبوع له، وتنوعت مذاهب شيوخه فأخذ من علماء أحناف كالشُّمُنِّي والكافيجي، ومالكية كنجم الدين عبد الرحمن بن عبد الوارث*، وعبد الغني محمد بن أحمد الطائي*، وحنابلة كأحمد بن إبراهيم*، وعز الدين الكناني*، وسأقتصر على ابرز شيوخه والتعريف بهم:

1. علم الدين، صالح بن عمر البُلقِيني، الشافعي، وقد افرده السيوطي بترجمة مستقلة[15] ولد سنة (791هـ) بالقاهرة، فقيه، متكلم، مفسر، محدث، ناثر، ناظم[16]، وهو من علماء الحديث والفقه، تصدر للإفتاء والتدريس، وولي قضاء الديار المصرية، وعزل وأعيد ست مرات، صنف تفسيراً وشرحاً على البخاري لم يكمله، ومن كتبه (ديوانَّ خطب) ستة مجلدات، و (ترجمة والده) مجلد، و(ترجمة أخيه) مجلد، و(الغيث الجاري على صحيح البخاري) مجلدان، توفي البُلقِيني وهو على القضاء بالقاهرة سنة (868هـ)[17] .

2. شرف الدين، أبو زكريا، يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الحدادي المناوي وأصله من منية بني خصيب، في الصعيد، ونسبته إليها[18]، ولد سنة(798هـ) فقيه، أصولي، محدث، شافعي، من أهل القاهرة[19]، وتصدر للأقراء والإفتاء، وولي تدريس الشافعي وقضاء

([14]) ينظر: التحدث بنعمة الله للسيوطي: 43.

([15]) سماها: (ترجمة البلقيني) في حسن المحاضرة له: 344/1.

([16]) معجم المؤلفين لعمر كحالة: 9/5.

([17]) ينظر الضوء اللامع للسخاوي: 314/3 ، والأعلام للزركلي: 194/3.

([18]) معجم المفسرين لعادل نويهض: 735/2.

([19]) ينظر: معجم المؤلفين لعمر كحالة: 227/13.

ISSN: 2709-5312

الديار المصرية وصنف كتباً منها مختصر المزني في فروع الشافعية[20]، توفي المناوي سنة (871هـ)[21].

3. تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي الشُّمُنِّي[22]، الحنفي القسنطيني الأصل، الإسكندري المولد، المصري المنشأ والدار[23]، ولد سنة (801هـ) قدم القاهرة مع والده، محدث مفسر نحوي، تولى مشيخة عدد من المدارس، وطلب لقضاء الحنفية فامتنع، وله مصنفات عديدة منها حاشية على مغني ابن هشام* سماها (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام)، توفي بالقاهرة سنة (872هـ)"[24].

4. محيي الدين، أبو عبد الله، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي الكافيجي[25]، ولد سنة(788هـ) ومن اشهر مؤلفاته (التيسير في علم التفسير)، رومي الأصل وقد لازمه السيوطي أربعة عشر سنة[26]، وقال عنه: "وما كنت أعدُّ الشيخ إلا والداً بعد والدي، لكثرة ما له عليَّ من الشفقة والإفادة وكان يذكر بينه وبين والدي صداقة تامة، وأنَّ والدي كان منصفاً له، بخلاف أكثر أهل مصر"[27] ، توفي سنة (879هـ)[28]

([20]) المصدر نفسه: 227/13.

([21]) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: 256/10.

([22]) ويعرف بالشمني نسبة لمزرعة ببعض بلاد المغرب أو لقرية وقد لا يتنافيا. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: 174/2.

([23]) المنهل الصافي لابن تغري بردي: 101/2.

([24]) الضوء اللامع للسخاوي: 2/ 178.

([25]) عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بكافيه ابن الحاجب، ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: 260/7.

([26]) الأعلام للزركلي: 150/6.

([27]) بغية الوعاة للسيوطي: 118/1.

([28]) ينظر: بغية الوعاة للسيوطي: 117/1، والأعلام للزركلي 6/ 150.

5. سيف الدين محمد بن محمد بن قطلوبغا القاهري الحنفي، ولد سنة (803هـ) برع في الفقه والأصول والنحو وغير ذلك، تولى تدريس الفقه والتفسير في عدة مدارس، وقد لازمه السيوطي فسمع عليه دروساً عديدة، وتوفي سنة (881هـ)[29] .

ثانياً: تلاميذه:

تزعم الإمام السيوطي في عام (870هـ) للتدريس، فكان لا يرد طالباً، أو مبتدئاً، أو فاضلاً[30]، وكان عمره أنذاك إحدى وعشرين سنة مما أدى الى كثر تلامذته، ومن الأَسباب لكثرة تلاميذه أيضاً أنَّه كان عالماً مشاركاً في عدد من العلوم الشرعية كالتفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وغيرها من العلوم وعنايته بالرواية عن مشايخه، والإجازة منهم، وسأقتصر على أشهر تلاميذه:

1. بدر الدين، حسن بن علي القميري[31]، الشافعي قال عنه السيوطي: "أحد العلماء البارعين في الفرائض والحساب والعروض والميقات، وأحد الفضلاء المشاركين في الفقه والعربية، لزمني عشر سنين، وقرأ علي الكثير من كتبي وغيرها (كمنهاج) النووي ... "[32]، وكان أكبر سناً من السيوطي وتوفى سنة (885هـ).

2. شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن الأمير تاني بك الإياسي الحنفي ثم الشافعي ولد سنة (863هـ)، اشتغل بالحديث، درس على يد السخاوي ثم لازم الإمام السيوطي وكان شغوفاً بعلم الحديث، وبرع فيه فلما قطع السيوطي إملاء الحديث طلب منه معاودة الإملاء، فاستجاب له سنة (888هـ)، نعته السيوطي المحدث البارع الفاضل الصالح[33].

([29]) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: 173/9، وحسن المحاضرة للسيوطي: 478/1، وبغية الوعاة للسيوطي: 231/1.

([30]) التحدث بنعمة الله للسيوطي: 88.

([31]) قَيْمُر: بفتح القاف، وياء ساكنة، وضم الميم، وراء، هي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط، ينسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط وهم أكراد، ينظر: معجم البلدان للحموي: 424/4.

([32]) التحدث بنعمة الله للسيوطي: 88.

([33]) ينظر الضوء اللامع للسخاوي: 266.265/1، والتحدث بنعمة الله: 89.

3. أبو البركات، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ولد سنة (852)، واشتغل بالتاريخ عموماً، وبتاريخ مصر على وجه الخصوص، ومن مؤلفاته (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، و(عقود الجمان في وقائع الزمان) وغيرها توفي سنة (930هـ)[34].

4. عبد القادر، محمد بن أحمد الشاذلي المصري، الشافعي، المؤذن، أحد تلاميذ السيوطي وترجم له في (بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين)، وله مؤلفات منها (شفاء المتعال بأدوية السعال)، وغيرها، توفي في حدود سنة (935هـ)[35].

5. سراج الدين، أبو حفص، عمر بن قاسم بن محمد بن علي النشار الأنصاري المصري الشافعي، والنشار كانت حرفة له، عني بالقراءات، وله مؤلفات منها (البدر المنير في شرح التيسير)، و(المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر) وغيرها، وقال عنه السيوطي: "لزمني إلى الأنَّ عشرين سنة، وكتب من مصنَّفاتي المطَّولة وغيرها جملة وافرة، وقرأ علي أكثر ما كتبه)[36]، توفي سنة (938هـ)[37].

المطلب الثالث
عقيدته ومذهبه ومكانته العلمية ووفاته

أولاً: عقيدته:

إنَّ السيوطي لم يكن لينفك عن البيئة التي عاش فيها، وكانت البيئة التي تحيط به أشعرية؛ لإنتشار المذهب الأشعري في مصر، إذ كان كثير من شيوخه وأقرأنَّه وتلاميذه يُعدون من أئمة، وأنَّصار المذهب الأشعري.

وبما أنَّ المذهب الأشعري مرّ بمراحل تأثر فيها بمدارس كلامية وصوفية وفلسفية فأنَّ الزمن الذي عاش فيه السيوطي كان المذهب الأشعري وأعلامه فيه متأثرين بالتصوف، وهذا ما كان عليه السيوطي من التمشعر المائل الى التصوف، وكان هذا واضحاً من خلال كتبه

([34]) ينظر: الأعلام للزركلي: 5/6، ومعجم المؤلفين لكحاله: 236/8.

([35]) هدية العارفين للباباني البغدادي: 598/1، الأعلام للزركلي: 4/ 43.

([36]) التحدث بنعمة الله: 88.

([37]) الضوء اللامع للسخاوي: 113/6، التحدث بنعمة بنعمة الله للسيوطي: 88، الأعلام للزركلي: 59/5.

ومؤلفاته، كما أكده بقوله: "ونعتقد أنَّ الإمام أبا الحسن الأشعري وهو من ذرية أبي موسى الأشعري إمام في السنة أي الطريقة المعتقدة مقدم فيها على غيره... ونعتقد أنَّ طريق أبي القاسم الجنيد* سيد الصوفية علما وعملا وصحبة طريق مقوم فأنَّه خال من البدع دائر على التفويض والتسليم والتبري من النفس مبنى على الاتباع للكتاب والسنة."[38].

وقد وافق الإمام السيوطي متأخري الأشاعرة*، الذين يتأولون الصفات الخبرية والصفات الفعلية الاختيارية في بعض المسائل، كما أنَّ الإمام وافق المتصوفة في بعض المسائل، ودليل ذلك ما ذكره السيوطي عن جده الأعلى كان من مشايخ الصوفية إذ يقول: " جدنا الأعلى همَّام الدين* كان احد مشايخ الصوفية..." ثم يتابع حديثه ويقول: "وكان السبب في إقبالي أخراً على طريقة التصوف، وملازمة القوم نزوغ العرق من جدي المذكور"[39]، كذلك دفاعه عن دعاة الحلول والاتحاد كابن الفارض*، في رسالته التي سماها(قمع المعارض في نصرة ابن الفارض)[40]، ودفاعه عن ابن عربي الطائي الصوفي*، في رسالته (تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي)[41]، إلا أنَّه قد حرم النظر في كتبه[42].

ثانياً: مذهبه:

مما لا شك فيه أنَّ السيوطي قد نشأ على المذهب الشافعي فقد كان والده وجُلّ من شيوخه متمذهبين به، وقيل السيوطي كان شافعياً، ثم أنَّه تنقل لمذهب المالكية، والصواب أنَّ السيوطي ما مات حتى كان يجتهد ويختار[43]، وأنَّه لم يخرج عن المذهب الشافعي إلا يسيراً جداً وقد صرح بذلك في كتابه حسن المحاضرة إذ قال في كتابه التحدث بنعمة الله: " ولما بلغت رتبة

([38]) إتمام الدراية للسيوطي: 20.

([39]) التحدث بنعمة الله للسيوطي: 42.

([40]) ينظر: الإمام جلال الدين السيوطي لخالد الطباع: 379 برقم (834).

([41]) ينظر: المصدر نفسه :336 برقم (280).

([42]) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين :238/4.

([43]) ينظر: فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني: 1021.

الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي (رحمه الله)، ... مع أنَّي لم أختر شيئاً خارجاً عن المذهب إلا يسيراً جداً"[44].

ثالثاً: حياته العلمية:

تجدر الإشارة إلى أنَّ السيوطي قد أشتغل بطلب العلم وأقبل عليه بسن مبكرة فقرأ على الشيوخ ولازمهم، وأخذ عنهم علوماً متنوعة، وأجيز في كثير منها، يقول: "وأجاز لي خلق من الديار المصرية والحجاز وحلب، وقد جمعت معجما في أسماء من سمعت عليه أو أجازني، أو أنَّشدني شعرا فبلغوا نحو ست مئة نفس"[45]، لذا بلغ السيوطي مبلغ العظماء في زمانه مما جعله مقصداً للناس للاستفادة من علمه والنهل من معينه حتى قال عن نفسه " ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أنَّ الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه، ولا وقف عليه أحد من أشياخي؛ فضلا عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه؛ بل شيخي فيه أوسع نظرا، وأطول باعا"[46]، وأما رحلاته فقد ذكر أنَّه رحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور [47] [48]، ولم يذكر تفاصيلاً عن رحلاته، والذي ثبت له والله اعلم رحلتان:

1. الرحلة الحجازية سنة (869هـ) ، لأداء فريضة الحج[49] .
2. الرحلة المصرية سنة (870هـ) وكانت إلى دمياط والإسكندرية[50].

([44]) ينظر: التحدث بنعمة الله للسيوطي: 90.

([45]) التحدث بنعمة الله السيوطي: 43.

([46]) حسن المحاضرة السيوطي: 338/1.

([47])" تكرور: براءين مهملتين: وهي مدينة على النيل على القرب من ضفافه أكبر من مدينة سلا من بلاد المغرب، وهي تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج" "وطعامهم السمك، والذرة، والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال، والمعز، ولباس عامة أهلها الصوف". ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي: 38/2، وصبح الأعشى في صناعة الأنَّشاء لأحمد بن بن علي القلقشندي: 275./5

([48]) حسن المحاضرة للسيوطي: 338/1.

([49]) التحدث بنعمة الله للسيوطي: 79.

([50]) التحدث بنعمة الله للسيوطي: 83.

ISSN: 2709-5312

وقد أفرد كل منهما بمصنف[51].

رابعاً: وفاته:

وجدير بالذكر أنَّ السيوطي قد نال منزلة كبيرة في علمه وجاهه، وزاد حسد حساده وخصومة خصومه، ومع اشتداد هجمة الخصوم والحساد، قرر السيوطي أنَّ يعتزل التدريس والإفتاء، ويلزم بيته للتأليف والعبادة، وكتب في ذلك المقامة اللؤلؤية التي يبين فيها سبب اعتزاله، ويقدم معاذير كثيرة، مبينا اختلال الموازين في ذلك الزمان، وغلبة الجهال والسفهاء على أهل العلم والتقى، فقد اعتزل السيوطي الناس، وأعتزل مجالس السلطان أيضا، وترفع عن قبول هدايا السلاطين، وفي سنة (911هـ) ودع السيوطي الدنيا بعد أنَّ عاش فيها حياة عريضة خصبة حافلة بالنشاط والعطاء والعمل، وفارق الدنيا عن اثنين وستيّن عاما، وهو في أوج اكتماله العلمي، وازدهاره الثقافي والاجتماعي، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة، وصلى عليه غائبة بدمشق بالجامع الأموي[52].

(51) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي: 344/1.

(52) ينظر: المحاضرات والمحاورات للسيوطي: 15.

المطلب الرابع
التعريف بكتاب الإكليل

أسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

سمَّى الإمام السيوطي كتابه (الإكليل في إستنباط التنزيل) وذكر ذلك في مقدمته إذ قال: "وقد سميته الإكليل في إستنباط التنزيل"[53]، ولم تختلف هذه التسمية للكتاب في كتبه الأخرى، فقد ذكره في (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة)[54]، وفي (الإتقان في علوم القرآن)[55]، وفي غيرهما من كتبه ورسائله، فقد تكرر كثيراً في كتب السيوطي، وغيره من تلاميذه، ومن ترجم له بهذا الاسم، وقد اتفقت المصادر على صحة نسبة الكتاب للسيوطي، وورد اسم كتاب الإكليل في عدد من كتب التراجم والفهارس منها: كشف الظنون[56]، هدية العارفين[57]، فالكتاب ثابت النسبة للإمام السيوطي ولم يشكك أحد في نسبته إليه.

([53]) الإكليل للسيوطي: 20/1.

([54]) حسن المحاضرة للسيوطي: 339/1.

([55]) الإتقان للسيوطي: 40/4.

([56]) كشف الظنون لحاجي خليفة: 81/1.

([57]) هدية العارفين للباباني: 535./1

المبحث الثاني

مسائل وحدانية الله تعالى وعدم الإشراك

المطلب الأول

مسألة توحيد الله وعدم الشرك به

التعريف بألفاظ التوحيد والشرك

أولاً: التوحيد لغة واصطلاحا:

1. التوحيد لغةً:

مصدر الفعل (وَحَدَ) "الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ"[58]، والوَحَدُ والوَحِيْدُ: المُنْفَرِدُ من كلِّ شْيءٍ[59]، وقيل : "الْوَاحِدُ هُوَ الَّذِي لَا يتجزأُ وَلَا يُثَنَّى وَلَا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ وَلَا يَجْمَعُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ إِلا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"[60]، والتَّوْحِيدُ: "الإيمان بالله وحدَهُ لا شَريكَ له، واللهُ الواحدُ الأحَدُ ذو التَّوَحُّدِ والوَحْدانيةِ"[61].

والمتأمل في دلالة هذه الكلمة عند اللغويين يجد أنَّ دلالتها في الانفراد وعدم التثنية، أو التعدد، فغالبها تدل على واحدية الله تعالى وأفراده وعدم تثنيته أو تعدده، لأنَّه تعالى واحد أحد منفرد، لا تنطبق عليه الوحدة العددية فلا نقول واحد له ثان لأنَّه لا مثيل له ولا نظير.

2.التوحيد اصطلاحاً:

(58) معجم مقاييس اللغة لابن فارس لابن فارس: 90/6.

(59) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد: 244/1.

(60) النهاية في الغريب لابن الأثير: 159/5، ولسان العرب لابن منظور: 451/3.

(61) ينظر العين للفراهيدي: 281/3، وتهذيب اللغة للأزهري: 125/5.

"وهو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان"[62]، وقيل: "هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا"[63]، وقيل: "هو نفي الشرك والقسيم والشريك والشبيه فالله –سبحانه وتعالى– واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها"[64].

ولا مناص من القول أنَّ كلمة التوحيد ومشتقاتها تدل على الوحدة والانفراد، وتنافي الشرك عنه، وعبادته عبادة خالصة لوجه الكريم، فسبحانه جل علاه واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

3.أنواع التوحيد:

كما نعلم جميعاً، يختلف تقسيم التوحيد بينّ المدارس الكلامية المختلفة، كما تختلف أسماؤها وفقًا للتوجهات المختلفة لكل مدرسة أو وجهات النظر المختلفة داخل المدرسة نفسها، فهناك نوعان أو ثلاثة أنواع أو أكثر حسب معنى مفهوم التوحيد بالنسبة لهم، وسنتكلم عن الأشاعرة وتقسيماتهم لكون صاحب الكتاب اشعري المنهج، إذ نجد أنَّ قدماء الأشاعرة لم يذكروا توحيد الألوهية فيرى الأشاعرة أنَّ تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع: توحيد في الذات وتوحيد في الصفات وتوحيد في الأفعال، والتوحيد الأول الثاني هما داخلان في توحيد الربوبية عندهم وعدم الاهتمام بتوحيد الألوهية ويفسرونها بالقدرة على الاختراع والخلق[65]، ويثبتون الوحدانية بدليل التمانع وهو استحالة وجود خالقيّن متكافئين، وهذا ما استدل به الإمام الأشعري في قول الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا

(62) التعريفات للجرجاني: 69، والقاموس الفقهي لسعدي أبو جيب: 374.

(63) لوامع الأنوار البهية للسفاريني: 57/1.

(64) ينظر: التفسير البسيط للواحدي: 298/1، والكليات للكفوي: 931.

(65) ينظر: الملل والنحل للشهرستانَي: 100/1، ومفاتيح الغيب للرازي: 217/32، والتبصير في الدين للاسفرايني: 156، ونقض عقائد الأشاعرة والماتريدية لخالد الغامدي، 188.

اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ چ [66]، فقال: "ووجه الفساد بذلك، لو كان إلهان ما اتسق أمرهما على نظام، ولا يتم على إحكام، وكان لابد أنَّ يلحقهما العجز، أو يلحق أحدهما عند التمانع في الأفعال، والقدرة على ذلك وذلك أنَّ كل واحد منهما لا يخلو أنَّ يكون قادراً على ما يقدر عليه الآخر...وأنَّ كان كل واحد منهما لا يقدر فعل مثل مقدور الآخر بدلاً منه وجب عجزهما وحدوث قدرتهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا ربا"[1]

(66) سورة الأنبياء: من الآية 22.

[01]، وبهذا يكون التوحيد عندهم توحيد الربوبية فقط،ويدخلون فيه نفي الصفات الذاتية الخبرية التي تقتضي عندهم تجسيما كالوجه واليدين والقدم والساق ونحوه، فأثبات ذلك يستلزم التبعيض المؤدي إلى التجسيم والإنقسام وهو محال، لأنَّ هذا يخالف عندهم حقيقة التوحيد، ولا يشيرون إلى توحيد الألوهية في كتبهم إلا نادرا جدا، ويعدون هذا النوع من التوحيد (أنَّه واحد في أفعاله لا شريك له) أشهر الأنواع واقواها دلالة على التوحيد، وبه يفسرون معنى "لا إله إلا الله" لا خالق إلا الله[2]، وبهذا قد فاتهم في هذا التقسيم أهم أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، هو عبادة الله وحده لا شريك له، فأنَّ المشركين من العرب كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية، وأنَّ خالق السماوات والأرض واحد، وأنَّما جاء القرآن لدعوتهم إلى توحيد الألوهية[3] ، وهذا القول لا يشمل كل الأشاعرة؛ وذلك لوجود تعريفات من بعض علمائهم للتوحيد تفيد صراحة دخول توحيد الألوهية، منها قولهم: أنَّ صانع العالم واحد أحد؛ أي أنَّه ليس معه إله سواه، ولا يستحق العبادة إلا إياه، ولا شبيه له ولا نظير، و ليس معه من يستحق الإلهية سواه[4]، والقول بأنَّه: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً"[5] أما تقسيم التوحيد عند الإمام السيوطي فأنَّ المتتبع لآرائه –رحمه الله– لا يكاد يقف على تقسيمة معينة للتوحيد ولكن الذي يسعفنا في ذلك هو استخدامه –رحمه الله– لدليل التمانع فيقول الإمام السيوطي: " ومن ذلك الاستدلال على أنَّ صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار إليها في قوله: لأنَّه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولكان العجز

(1) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري: 90.

(2) ينظر: وأصول الدين للبغدادي: 123، والملل والنحل للشهرستاني: 100/1

(3) ينظر: جامع البيان للطبري: 257/6، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 508/8، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني: 307/1، وتبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب: 267، وأثر الاستشراق على المنهج العقدي الإسلامي لسعيد أحمد بن صغير: 26/1.

(4)ينظر: الأنصاف للباقلاني: 32–33.

(5) تحفة المريد للبيجوري: 38.

يلحقهما أو أحدهما وذلك لأنَّه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فإما أنَّ تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل أنَّ فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين أنَّ فرض الاختلاف وإما ألا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزا"[1]، فيقول وهو الدليل العقلي القاطع على الوحدانية[2]، كما قال في قول الله تعالى: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ} چ [3]، "فيه إثبات الوحدانية له تعالى في ذاته وصفاته"[4]، (وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [5]، " فيها من شعب الإيمان عبادة الله وعدم الأشراك به"[6]، وفسر قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [7] "أي لا معبود بحق في الوجود إلا هو"[8] فنجد الامام السيوطي يستقيم في الجملة في تفسيره لكلمة (لا اله) بلا معبود مع مذهب السلف الصالح، والذين قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام[9]، وهي:

---

(1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: 63/4، ومعترك الأقران للسيوطي: 348/1.

(2) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن بن صالح المحمود: 3/ 1022.

(3) سورة البقرة: 163.

(4) الإكليل للسيوطي: 35.

(5) سورة النساء: 36.

(6) الإكليل للسيوطي: 91

(7) سورة البقرة: 255.

(8) تفسير الجلالين: 56.

(9) ينظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني: 128/1، وغاية المريد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن عبد العزيز: 35.

1. **توحيد الربوبية:** "وهو إفراد الله تعالى بما يختص به من الخلق، والملك، والتدبير، والرَّزْق والإحياء والإماتة، ونحوها من خصائص ربوبيته"[1].
2. **توحيد الألوهية:** هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والإقرار بأنَّه لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وإفراد الله تعالى بالعبادة، كالدعاء والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوكل، والإنَّابة وغيرها من أنواع العبادة[2].
3. **توحيد الأسماء والصفات:** وهو إفراد الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تمثيل، بأنَّه متفرد لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[3].

وهذا التقسيم لأنواع التوحيد الثلاثة مبني على الاستقراء، وذلك أنَّ العلماء نظروا في النصوص الشرعية واستقرءوها فوجدوا أنَّ التوحيد فيها ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة.

ثانياً: الشرك لغةً واصطلاحاً:

1.الشِّرك لغة:

مادة (شَرَكَ) في اللغة تَدُلُّ على معان عديدة، منها، الاقتران وعدم الأنَّفراد، يقال: "شَارَكْتُ فُلَانا فِي الشَّيْءِ، إِذَا صِرْتَ شَرِيكَهُ، وَأَشْرَكْتُ فُلَانا، إِذَا

(1) المصدر نفسه: 36.

(2) شرح العقيدة الطحاوية للبراك: 26.

(3) شرح العقيدة الطحاوية للبراك: 26.

ISSN: 2709-5312

جَعَلْتَـهُ شَـرِيكًا لَـكَ"[1]، كمـا جـاء فـي قـول الله تعـالى: ﴿ وَأَشْـرِكْهُ فِـي أَمْـرِي﴾ [2] ، وقـد يأتي بمعنى الامتداد والاستقامة[3]، كما يأتي بمعنى النصيب[4].

والشـرك أسـم مـن أشـرك بـالله إذا كفـر بـه" يقـال أَشْـرَكَ فـلان بـالله، فهـو مشـرك"[5]، أي: جعـل لـه شـريكا فـي ملكـه تعـالى الله عـن ذلـك، والجمـع إشـراك مثـل: سـبب وأسـباب وقيـل الشـرك جمـع شـركة مثـل: قصـب وقصـبة، والـذي يعنينـا مـن تلـك المعـاني الأول منهـا، وذلـك بمـا يناسـب مـع موضـوع البحـث، والـذي يشـير إلـى الإشراك مع الله تعالى وجعل الند لله تعالى في الذات أو الأفعال أو الصفات.

2. الشرك اصطلاحاً:

وقـد عـرف الشـرك بعـدة تعـاريف منهـا قيـل بأنَّـه: "إسـناد الأمـر المخـتص بواحـد إلـى مـن لـيس معـه أمـره"[6]، وقيـل : "إثبـات الصـفات الخاصـة بـالله – تعـالى – لغيـره، مثـل إثبـات التصـرف المطلـق فـي الكـون بـالإدارة المطلقـة التـي يعبـر عنهـا "بكـن فيكـون" أو إثبـات العلـم الـذاتي الـذي لا يحصـل بالاكتسـاب عـن طريـق الحـواس والـدليل العقلـي، والمنـام ...، أو إثبـات إيجـاد شـفاء المـريض، أو إثبـات اللعنـة علـى شـخص أو السـخط عليـه إذ ينقلـب نتيجـة هـذا اللعـن والسـخط معـدما، أو مريضـا أو شـقيا، أو الرحمـة لشـخص والرضـا عنـه إذ ينقلـب هـو بسـبب هـذه الرحمـة والرضـا غنيـا صـحيحا، معـافى، سـعيدا"[7]، وقيـل أيضـا: " وهـو أنَّ يتخـذ مـن دون الله نـداً، يحبـه كمـا يحـب الله، وهـو الشـرك الـذي تضـمن تسـوية آلهـة المشـركين بـرب العـالمين، ولهـذا قـالوا

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 265/3.

(2) سورة طه: 32.

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 265/3.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر: 1193/2

(5) لسان العرب: 10/ 450، وتاج العروس للزبيدي: 224/27، والكليات للكفوي: 533.

(6) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: 203.

(7) الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد الدهلوي: 36.

لآلهتهم في النار"[1]، قال الله تعالى: (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [2] ".

ومن خلال ما تقدم يتبينّ أنَّ الشرك هو: أنَّ يُجعل لله تعالى ندٌّ أو شريكٌ في ربوبيته أو الوهيته أو أسمائه أو صفاته، بحيث يصرف لغيره ما هو من خصوصياته سبحانه على وجه الاشتراك أو التفرد.

ولهذا لا تخلو آية من آيات القرآن الكريم تتعلق بالشرك من وصف دقيق لحالة الشرك والمشركين.

3. أنواع الشرك: أنَّ للشرك نوعان وهما[3]:

النوع الأول: الشرك الأكبر هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه أنَّ لم يتب مخلدا في نار جهنم[4]، وهو جعل مع الله سبحانه شريكًا أو صرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله تعالى، أو إشراك معه غيره فيها، وهذا شركٌ مخرج من الملة، فقيل: "أصل الشرك المحرم: اعتقاد شريك لله تعالى في إلهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: أنَّ موجودًا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وأنَّ لم يعتقد كونه إلهًا"[5]، ودليله: قول الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا) [6].

النوع الثاني: الشرك الأصغر، كيسير الرياء والتصنع وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لطلب الدنيا تارة، ولطلب المنْزلة والْجاه عند الخلق

(1) مدارج السالكين لابن القيم: 523/1.

(2) سورة الشعراء: 97-98.

(3) ينظر الإيمان الأوسط لابن تيمية: 405، ومدارج السالكين لابن القيم: 523/1، وتجريد التوحيد للمقريزي: 24.

(4) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء: 61.

(5) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي: 615/6.

(6) سورة النساء: 116.

تارة، فله من عمله نصيب، ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوعَ الشركُ بالله في الألفاظ، كالْحلفِ بغير الله تعالى وقول: ومالي إلا الله وأنَّت، وأنَّا في حسب الله وحسبك، وغيرها من الألفاظ[1].

والشرك الأصغر، أنواعه كثيرة، وهو خفي جداً، قد يحصل في القلب من غير أنَّ يعلم الرجل كالرياء فهو شرك أصغر، كأن يظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يحسنه عندهم، أو يظهر عندهم بمظهر مندوب، ليمدحه الناس ويعظم في أنَّفسهم، فمن أراد وجه الله والرياء معا فقد أشرك مع الله غيره في هذه العبادة، أما لو عمل العبادة وليس له مقصد في فعلها أصلا سوى مدح الناس فهذا صاحبه على خطر عظيم، وقد قال بعض أهل العلم: أنَّه قد وقع في النفاق والشرك المخرج من الملة[2]

وصوره كثيرة منها الرياء بالعمل، كتصدق الرجل بدراهم أمام الناس من أجل أنَّ يقولوا: فلان جواد متصدق، فهو شرك أصغر[3] ويستدل عليه بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [4].

أما أنواع الشرك عند الإمام السيوطي فذكرها في قوله: "وضد الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وضد الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي، وهو الرياء"[5]، وأستدل بقول النبي ﷺ: ((الرياء هو الشرك الأصغر))[6].

---

(1) ينظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله: 29.

(2) مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين: 161.

(3) ينظر: جامع البيان للطبري: 521/5، وأحكام القرآن للجصاص: 553/1، وقوت القلوب لأبو طالب المكي: 177/2-178، وشرح صحيح البخاري لابن بطال: 409/3.

(4) البقرة: من الآية 264.

(5) معترك الأقران للسيوطي: 474/2.

(6) وهو ما روي عن محمودِ بن لبيد مرفوعاً: (أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ) قَالَ: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ...) " أخرجه أحمد في مسنده: 43/39 برقم (3635)، والطبراني في

المطلب الثاني

مسألة أول واجب على المكلف

يرى الإمام السيوطي أنَّ أول واجب على المكلف هو معرفة الله ووجوب النظر، مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [1]، قائلاً: "استدل به من قال بوجوب النظر وإبطال التقليد في العقائد، ومن قال بأنَّ أول الواجبات المعرفة قبل الإقرار"[2]، كما ذكر قول النقاش* في قول الله تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) [3]، فقال: "فيه رد على من يقول: أنَّه ليس أحد يفارق الحق إلا وهو يعلم أنَّه ضال وأنَّ كفر فعلى وجه العناد قال: وفيها أيضاً رد على من يزعم أنَّ المعارف اضطرارية"[4]، أي أنَّ الإنسان مضطر إلى العلم بالمعارف والحقائق دون الحاجة إلى النظر في الأدلة والبراهين، وبهذا اتبع الإمام السيوطي الأشاعرة في أول واجب على المكلف، وقد أختلف الأشاعرة في أول واجب على المكلف، فقال بعضهم: أول واجب: المعرفة وهو معرفة الله تعالى[5]، وقيل النظر الموصل إلى المعرفة وهو ما قاله أبي أسحاق الإسفراييني* وهو النظر المؤدي إلى العلم به، إذ لا يتوصل إليه إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[6]، وما ذهب إليه الأشعري* وحكاية عن الآمدي* بوجوب النظر عن أكثر أصحابه من الأشاعرة

المعجم الكبير: 253/4 برقم (4301)، والبيهقي في شعب الإيمان: 333/5 برقم (6829)، قال الحاكم في المستدرك: 365/4 وهو حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في المجمع: 102/1 برقم (375) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(1) سورة محمد: 19.

(2) الإكليل للسيوطي: 238.

(3) سورة الزخرف: 37.

(4) ينظر: الإكليل للسيوطي: 232.

(5) ينظر: تحفة المريد للبيجوري: 37.31، والمواقف للأيجي: 3.

(6) تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي: 4/ 918.

والمعتزلة، وقال: "أجمع أكثر أصحابنا، والمعتزلة، وكثير من أهل الحق من المسلمين على أنَّ النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، واجب"[1]، وقال بعضهم أنَّ أول واجب على المكلف هو: القصد إلى النظر، ويعزى ذلك إلى القاضي أبو بكر الباقلاني* [2] كما ذكر أيضا أنَّ أول واجب جزء من النظر[3]، واختاره ابن فورك [4] * ، وذكر في حقيقة القصد فقيل هو: تفريغ القلب عن الشواغل[5]، وقيل: "هو ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم"[6]، وقد عبر عن هذا النزاع في أول واجب على المكلف أنَّما هو نزاعاً لفظياً[7]، وقال أبو جعفر السمناني* وهو من رؤوس الأشاعرة أنَّ هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعريّ من مسائل المعتزلة، وقد تفرّع عليها أنَّ أول الواجب على كل مكلف هو معرفة الله بالأدلة الدالة عليه، وأنَّه لا يكفي التقليد في ذلك[8] والذي سنتناوله في مسألة مستقلة، وهم بذلك أنَّكروا المعرفة الفطرية، وصرحوا بأنَّ وجود الله تعالى غير معلوم بالاضطرار، وأنَّما يعلم بالنظر والاستدلال.

وهذا ما قرره وصرح به القاضي المعتزلي عبد الجبار[9]، وتبعه بذلك الباقلاني الذي قال: "وأنَّ يعلم أنَّ أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد

---

(1)ينظر: أبكار الأفكار للآمدي، 155/1، والإرشاد للجويني: 29.

(2) ينظر: الشامل للجويني: 121.

(3) ينظر: الشامل للجويني: 121، وأبكار الأفكار للآمدي: 170.

(4) المواقف للأيجي: 32.

(5) تحفة المريد للبيجوري: 54.

(6) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 7/ 353، وشرح العقيدة الكبرى للتلمساني: 19.

(7) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح المحمود: 935/3.

(8) ينظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى للإثيوبي: 164/30. ينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 349/13.

(9) ينظر: المجموع في المحيط بالتكليف لعبد الجبار المعتزلي: 21-22.

النظـر فـي آياتـه ... لأنَّـه سـبحانه غيـر معلـوم باضـطرار ولا مشـاهد بـالحواس، وأنَّمـا يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة"[1].

وهذا خلاف ما ورد عن السلف الصالح إذ أجمعوا[2] على أنَّ أول واجب على المكلف هو الشهادتيّن المتضمنة الشهادة لله بالوحدانية وإفراده تعالى بالعبادة، ولنبيه بالرسالة[3]، وحجتهم في ذلك، أنَّهم استدلوا بالكتاب من قول الله تعالى: (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) (162) لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ [4]، ويرون أنَّ معرفة الله فطرية فطر الله عليها عباده، قال الله تعالى (قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ) [5]، أي: أفي وجوده شك، فأنَّ الفطر شاهدة بوجوده مجبولة على الإقرار به، فأنَّ الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، واستدلوا من السنة الشريفة قوله ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنَّ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ على الله))[6]، وقوله ﷺ : ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))[7].

يتبين لنا مما سبق أنَّ ما ذهب إليه الأشاعرة ومنهم الإمام السيوطي هو أنَّ معرفة الله تعالى نظرية، أي لابد من الاستدلال على وجود الله تعالى بالنظر في ملكوت، السموات

---

(1) الأنصاف للباقلاني: 21.

(2) ينظر: الإجماع لابن المنذر: 128/ برقم (724).

(3) شرح النووي على مسلم: 208/16، وشرح الطحاوية لابن أبي العز: 23/1.

(4) سورة الأنَّعام: 162-163.

(5) سورة إبراهيم: من الآية 10.

(6) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فأنَّ تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخلوا سبيلهم: 17/1 برقم (25).

(7)أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا اسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام
456/1 برقم (1292).

والأرض، واختلفوا في الألفاظ من النظر، أو القصد إلى النظر، أو أول جزء من النظر ، كما أنَّ معرفة الله تعالى عندهم تكون عن طريق الأدلة الدالة على وجوده تعالى وأنَّه لا يكفي التقليد في ذلك، فأنَّكروا المعرفة الفطرية، وصرحوا بأنَّ وجود الله تعالى غير معلوم بالاضطرار، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [1]، قال الإمام السيوطي: فيها إثبات الاستدلال بالحجج العقلية[2]، بينما أجمع السلف على أنَّ أول واجب هو الشهادتين، ومعرفة الله تعالى فطرية والذي يظهر لي والله تعالى اعلم هو ما ذهب إليه السلف الصالح لاستنادهم على أدلة أقوى من ما هم عليه الأشاعرة ومن أيدهم، حيث أنَّ المنطق والفلسفة أو الأدلة العقلية لا توصل إلى اليقين في المسائل الإلهية ، ولم يكن الرسول ﷺ يأمر أحداً ابتداء الى النظر في الدليل الموصل إلى معرفة الله تعالى بل كان يأمر بالشهادتين وتلقي أحكام الإسلام وعبادة الله تعالى ونحن ملزمون باتباعه ﷺ، فالمتكلمون مع تعويلهم التام على النظر العقلي في إثبات الربوبية لم يستطيعوا تجاهل شهادة الفطرة ومنهم الفخر الرازي ذكر في تفسير قول الله تعالى: ﴿ كَبُرَ [3]، وجوه دلالة الفطرة على وجود الله تعالى[4] والجدير بالذكر إلى أنَّ الامام السيوطي قد أستدل بقول الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [5]، على أنَّ كل مولود يولد على الفطرة[6]، وبهذا يكون رأيه فيه تناقض، والله تعالى أعلم.

(1) سورة البقرة: من الآية 164.
(2) الإكليل للسيوطي: 35.
(3) سورة إبراهيم: 10.
(4) ينظر مفاتيح الغيب للرازي: 71/19.
(5) سورة الروم: من الآية 30.
(6) ينظر: الإكليل للسيوطي: 207.

ISSN: 2709-5312

المطلب الثالث

مسألة التقليد

تبين لنا مما سبق أنَّ الأشاعرة قد أوجبوا النظر على المكلف، واختلفوا في حكم تارك النظر، وأنَّ تارك النظر عندهم هو المقلد[1] ، والتقليد يعني: تعليق الشيء في العنق، يقال: قَلَّدْتُ المرأة فَتَقَلَّدَتْ هي، ومنه التقليد في الدين، وأصل القلد: الْفَتْلُ، يُقَالُ قَلَدْتُ الْحَبْلَ أَقْلِدُهُ قَلْدًا، إِذَا فَتَلْتُهُ[2]، أما في الشرع : "هو قبول قول الغير بلا حجة، ولا دليل"[3]، والمقلد هو الذي يتبع دين آبائه وقرابته وأهل بلده ومشايخ قومه وليس عنده وراء ذلك حجة يأوي إليها، وإذا سئل عما يدعوه إلى إختيار هذا الدين على خلافه، ضجر ولم يكن عنده إلا أنَّ يقول: ديني ودين آبائي وعليه وجدت الشيوخ وبنظره هو الطريق المستقيم[4].

وقد تعرض الإمام السيوطي لمسألة ذم التقليد في أصول الدين، وتطرق لذلك في قول الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ چ [5]، فقال: "فيه دليل على ذم التقليد في أصول الدين"[6]، كما قال في تفسير قول الله تعالى: (وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا)[7]، "استدل به على إبطال التقليد في العقائد، واستدل به الظاهرية

(1) ينظر: تحفة المريد للبيجوري: 22.

(2) ينظر: معجم الصحاح للجوهري: 527/2، ومجمل اللغة لابن فارس: 730، ولسان العرب لابن منظور: 366/3.

(3) القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب: 308.

(4) المنهاج في شعب الإيمان للجرجاني: 145/1.

(5) سورة الزخرف: 22.

(6) الإكليل للسيوطي: 232.

(7) سورة النجم: 28.

ISSN: 2709-5312

على إبطاله مطلقاً..."[1]، وبين الأمام السيوطي[2]، الاختلافات في هذه المسألة على أقوال:

1- لا يجوز التقليد في العقائد، وذلك لذمه في التنزيل لقول الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ چ [3]، وقول الله تعالى (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ)[4]، وعليه كثيرون منهم أبو إسحاق الاسفراييني، كما رجحه الإمام الرازي والآمدي[5].

2- يجوز التقليد، وهذا القول حكاه الرازي عن كثير من الفقهاء، ونسبه الآمدي إلى عبد الله بن الحسن العنبري[6] .

3- وجوب التقليد وتحريم النظر والبحث فيه لأنّه مظنة الشبه، ويؤدي إلى الوقوع في الضلال لاختلاف الأذهان والأنظار.

وعليه فأنَّ الإمام السيوطي من أصحاب القول الأول، وهذا ما نقل عن الإمام الأشعري قوله: "لم تجد عن أحد من صحابته خلافاً في شيء مما وقف عليه السلام جماعته، ولا شك في شيء منه، ولا نقل عنهم كلام في شيء من ذلك، ولا زيادة على ما نبههم عليه من الحجج ... ولم يقلد بعضهم بعضاً فيما صاروا إليه من جميع ذلك، لما كلفوه من الاجتهاد وأمروا به"[7]، وجوز الإمام السيوطي التقليد في الفروع للعامي، وبين ذلك في تفسير قول الله تعالى(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

(1) الإكليل للسيوطي: 250.
(2) شرح الكوكب الساطع للسيوطي: 442.
(3) سورة الزخرف: من الآية 22.
(4) سورة النجم: من الآية 23.
(5) ينظر: المحصول للرازي: 93/6، والإحكام للآمدي: 446/3.
(6) المصدر نفسه: 93/6، 446/3.
(7) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري: 102.

رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) [1]، فقال: "استدل به على جواز التقليد في الفروع للعامي"[2]، كما وقد بينّ شرح جمع الجوامع تقليد غير المجتهد على أقوال[3] :

1- يلزمه التقليد مطلقاً، عامياً كان أو عالماً[4] وذلك لقول الله تعالى(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)[5].

2- أنَّ كان عالماً لم يبلغ رتبة الاجتهاد يشترط عليه أنَّ يتبينّ له صحة اجتهاد من يقلده[6].

3- لا يجوز التقليد للعالم لأنَّ له صلاحية أخذ الحكم من الدليل بخلاف العامي.

4- لا يجوز التقليد للعامي، وهو قول المعتزلة، لأنَّهم أوجبوا عليه الوقوف على طريق الحكم وعليه الرجوع إلى العالم لتنبيهه على أصولها.

أما المجتهد، فأنَّ أجتهد وظن الحكم وجب عليه العمل بما ظنه، وحرم عليه التقليد وهذا بالاتفاق، وأنَّ لم يجتهد ففيه أقوال:

1- منعه من التقليد لقدرته على الاجتهاد الذي هو أصل للتقليد، ولا يجوز العدول عن الأصل مع المقدرة عليه إلى بدله.

2- جواز التقليد لعدم العلم به الأنَّ.

3- الجواز للقاضي دون غيره لحاجته إلى فصل الخصومة.

4- الجواز عند ضيق الوقت لخشيته الفوات لو أشتغل بالاجتهاد بخلاف ما إذا لم يضق.

---

(1) سورة النحل: من الآية 43.

(2) الإكليل للسيوطي: 163.

(3) ينظر: شرح الكوكب الساطع للسيوطي: 415.

(4) ينظر: الفصول في الأصول للجصاص: 281/4، أصول الفقه لابن مفلح: 1520/4.

(5) سورة النحل: من الآية 43.

(6)نقل هذا القول عن الكيا الهراسي، ينظر: أدب المفتي لابن الصلاح: 162، والمجموع للنووي: 55/1.

5- يجوز له التقليد من هو أعلم منه لرجحانه عليه بخلاف المساوى له أو الأدنى منه.

وقد رجح الأمام السيوطي القول الأول وعده الأصح وقال به الأكثرين، وأنَّما قصد بالأكثرين الأشاعرة والمعتزلة وكثير من المتكلمين، منهم الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني كما نقل عنه في جمع الجوامع في أوائل التقليد[1]، ورجحه الإمام الرازي والآمدي، وإمام الحرمين الجويني[2]، إذ أنَّ معرفة الله واجب محتم وأنَّ التقليد لا يكفي في العقائد، فلابد من النظر الصحيح والتفكر والتدبر الذي يؤدي إلى العلم والى طمأنينة القلب ومعرفة أدلة ذلك.

يتبين لنا أنَّ ما ذهب إليه الإمام السيوطي وهو فيما يخص التقليد في الأصول، فقيل: لا يجوز التقليد في أصول العقائد، كوجود الله تعالى ووحدانيته ووجوب إفراده بالعبادة، إذ يستلزم النظر الصحيح والتفكير والتدبر، وهو رأي الجمهور[3]، وأما فيما يخص التقليد في الفروع، فذهب إلى جواز التقليد للعامي.

والذي يظهر لي والذي تميل له نفسي والله تعالى اعلم هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم الإمام السيوطي في عدم الجواز في الأصول وجوازه للعامي في الفروع؛ لأنَّ تحصيل العلم في الأصول واجب على الرسول، بقوله: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [4] ، فكذا علينا، الاتباع، وكذلك فيما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة في ذم التقليد، ووجوب النظر والفكر، ولا يمكن صرفه عنه إلى الفروع، لأنَّه خلاف الإجماع، الذي أنعقد على وجوب معرفة الله وصفاته، وهي غير حاصلة بالتقليد، إذ المقلد غير معصوم عن الكذب، ولأنَّه لو أفاد العلم بقدم العالم وحدوثه، فيلزم كونه

(1) ينظر: شرح الكوكب الساطع للسيوطي: 442.

(2) ينظر: التلخيص في أصول الفقه للجويني: 428/3.

(3) تشنيف المسامع للزركشي: 623/4.

(4) سورة محمد: من الآية 19.

قـديما وحادثـا، كمـا أنَّ الواجـب تقليـد المحـق، ولا تعـرف حقيقتـه إلا بالـدليل، فيخـرج عن كونه تقليدا[1].

(1) ينظر: الفائق في أصول الفقه للصفي الهندي: 418/2.

ISSN: 2709-5312

المطلب الرابع

مسألة إيمان المقلد

سبق وأنَّ بينّا مسألة التقليد وأنَّ هذه المسألة تترتب عليها مسألة أخرى وهي إيمان المكلف، هل يصح إيمانه أم لا؟

وقبل الولوج في إيضاح المسألة لابد من تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح:

فالإيمان في اللغة: مشتق من الأَمنُ وهو ضدّ الخوف، والفعل منه: أمِنَ يأْمَنُ أَمْناً[1]، والإيمان: هو التصديقُ[2] ضد الكفر، وضده التكذيب[3]، وفي الاصطلاح: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان. وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر[4]، وفي هذه المسألة عدة أقوال منهم من قال بصحة إيمانه، لأنَّ مع هذا الإيمان تصديقا، ويعد التصديق هو أصل الإيمان، وهو عند الماتريدية فيصح الاكتفاء بالتقليد في العقائد الدِّينية عندهم، إلا أنَّ المقلد يعد عاصيًا بتركه للنظر إذا كان قادرًا على ذلك؛ ولذلك قيل: أنَّ النظر واجب وجوب الفروع، وليس وجوب الأصول، وإلا كان هذا المقلد كافرًا[5]، كما ذهب إليه الفقهاء وكثير من العلماء بصحة إيمان المقلد من غير نظر واستدلال، لحصول الجزم بالإيمان الذي يحصله الاستدلال، ولأنَّ الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يقبلون إيمان العوام من الأمصار التي فتحوها من العجم وأنَّ كان إيمانهم صادراً تحت السيف، أو تبعا لكبير منهم أسلم، ولم

(1) معجم العين للفراهيدي: 388/8.

(2) ينظر: معجم العين للفراهيدي: 389/8، ومجمل اللغة لابن فارس: 102، ولسان العرب لابن منظور: 23/13.

(3) ينظر: لسان العرب لابن منظور: 22/13.

(4) التعريفات للجرجاني: 40.

(5) ينظر: تفسير الماتريدي للماتريدي : 166/1.

ISSN: 2709-5312

يـأمروا أحـدا مـنهم بترديـد نظـر أو اسـتدلال، ولا سـألوه عـن دليـل تصـديقه، فكـان مـا أطبقـوا عليـه دلـيلا علـى صـحة إيمـان المقلـد [1]، ودلـيلهم فـي ذلـك قـول الله تعـالى: ﴿ يـاأيهـا الـذين آمنـوا إذا ضـربتم فـي سـبيل الله فتبينـوا ولا تقولـوا لمـن ألقـى إلـيكم السـلام لسـت مؤمنـا تبتغـون عـرض الحيـاة الـدنيا فعنـد الله مغـانم كثيـرة كـذلك كنـتم مـن قبـل فمـن الله علـيكم فتبينـوا إن الله كـان بمـا تعملـون خبيـرا ﴾ [2]، وقولـه ﷺ : ((مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ...))[3]

ومـنهم مـن قـال بـأنَّ المقلـد آثمـاً إذا اكتفـى بمجـرد التقليـد فيـه، ولـم يجتهـد فـي تحصـيل العلـم بالـدليل، وهـو مـذهب الأئمـة الأربعـة والأوزاعـي والثـوري وكثيـر مـن المتكلمـين[4]، والـذي ذهـب إليـه الأمـام السـيوطي هـو صـحة إيمـان المقلـد مـع عصـيانه [5]، ومنـع كثيـر مـن المعتزلـة صـحته وهـو قـول أبـو هاشـم الجبـائي*، وورد علـيهم بأنَّـه يلـزم مـن قـولهم تكفيـر العـوام وهـو غالـب المـؤمنين، وقـد روي هـذا القـول عـن الإمـام الأشـعري، وقـد رده الأمـام القشـيري[6]، وقـال بأنَّـه مكـذوب عليـه، كمـا قـد أجـاب الإمـام السـيوطي عن هذا القول من عدة أوجه فقال:

1. أنَّه مكذوب عليه، كما نقل عن الإمام القشيري، فقد شنع هذا القول عليه.
2. لـيس المـراد بـالنظر علـى طريقـة المتكلمـين، وأنَّمـا المـراد علـى طريقـة العامـة، قـال الامـام السـيوطي: "لـم يريـدوا بالمسـتدل علـى قواعـد المنطـق، بـل أرادوا مطلـق الاسـتدلال، الـذي هـو فـي طبـع كـل أحـد حتـى فـي طبـع العجـائز، والأعـراب، والصـبيان، كالاسـتدلال بـالنجوم علـى أنَّ لهـا خالقـا، وبالسـماء،

(1) ينظر: المجالس الوعظية في شرح صحيح البخاري للسفيري: 297/1، والفتح المبينّ لابن حجر الهيتمي: 165.

(2) سورة النساء: من الآية 94.

(3)أخرجه البخاري في أبواب القبلة، باب استقبال القبلة، 153/1 برقم (384).

(4) تيسير التحرير لأمير باد شاه: 243/4.

(5) ينظر: شرح الكوكب الساطع للسيوطي: 2/ 443.

(6) ينظر: البحر المحيط للزركشي: 326/8، والغيث الهامع لابن العراقي: 725.

ISSN: 2709-5312

والأنَّهار، والثمار، وغيرها، وهذا لا يحتاج إلى منطق ولا غيره، والعوام والأجلاف كلهم مؤمنون بهذا الطريق" [1].

3. أنَّه مراد الأشعري هو من حصل في قلبه شك أو شبهه في حدوث العالم أو النبوة ونحوهما وجب أنَّ يجتهد في إزالته بالدليل العقلي، فأنَّ أستمر في شكه فلا يصح إيمانه.

نرى أنَّ الإمام السيوطي قد رجح صحة إيمان المقلد مع عصيانه وهو عند الماتريدية أيضاً فيصح الاكتفاء بالتقليد في العقائد الدِّينية عندهم، إلا أنَّ المقلد يعد عاصيًا بتركه للنظر إذا كان قادرًا على ذلك، والذي يظهر ويبدوا لي والله تعالى اعلم هو ما ذهب إلية الماتريدية والإمام السيوطي بصحة إيمان المقلد مع أنَّه يعد آثما بتركه النظر والاستدلال أنَّ كان قادراً عليه فالمسلم عليه أنَّ يتحرى الحقائق ويتبع الأدلة في الأمور العقدية ولا يميل أو يتعصب إلى قول عالم أو مذهب واحد فقط بل عليه الاطلاع على الأدلة والآراء كافة ثم يميل إلى ما يطمئن إليه قلبه من قوة الأدلة سواء أكانت عقلية أم نقلية والله تعالى اعلم.

(1) الحاوي للفتاوي للسيوطي: 1/ 301.

الخاتمة

والله أسأله التوفيق لما يرضيه، والهداية فيما أذره وآتيه، وألا يجعل علمنا حجة علينا وألا يخيب سعينا، وينظر بعين رحمته إلينا. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين، وبعد ختام مطاف عملنا المتواضع حول "مسائل توحيد الله وعدم الاشراك به في كتابه الإكليل في استنباط للإمام السيوطي" نستنتج آثار جوهرية مفادها:

1. أن الإمام السيوطي شخصية علمية فذة ويبرز ذلك من مجموعة مصنفاته ومنها كتابه الإكليل في استنباط التنزيل الذي كان رغم صغر حجمه وأوراقه إلا أنه احتوى على كثير من الفنون والعلوم فهو كتاباً شاملاً كثير النفع.
2. اهتم الإمام السيوطي بكتابه بالرد على الفرق ومنها المعتزلة ونقدهم، مشيراً إلى فساد طرقهم في الاستدلال على أثبات العقائد الدينية، وكان الرد على تلك الفرق بآيات من القرآن الكريم في أكثر من موضع.
3. يرى الإمام السيوطي أول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى نظرية، أي لابد من الاستدلال على وجود الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض
4. وافق الامام السيوطي الإجماع في مسائل عدة منها: عدم جواز التقليد في العقائد في الأصول وجوازه في الفروع للعامي، وصحة إيمان المقلد مع عصيانه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- أبكار الأفكار للآمدي.

2- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

3- أثر الاستشراق على المنهج العقدي الإسلامي لسعيد أحمد بن صغير.

4- الإجماع لابن المنذر.

5- أحكام القرآن للجصاص.

6- الإحكام للآمدي.

7- أدب المفتي لابن الصلاح.

8- الإرشاد للجويني.

9- أصول الفقه لابن مفلح.

10- الأعلام للزركلي.

11- الإكليل للسيوطي.

12- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي لخالد الطباع.

13- الأنصاف للباقلاني.

14- الإيمان الأوسط لابن تيمية.

15- البحر المحيط للزركشي.

16- بغية الوعاة للسيوطي.

17- بهجة العابدين للشاذلي.

18- تاج العروس للزبيدي.

19- تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب.

20- التبصير في الدين للاسفرايني.

21- تجريد التوحيد للمقريزي.

22- التحدث بنعمة الله للسيوطي.

23- تحفة المريد للبيجوري.
24- تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي.
25- التعريفات للجرجاني.
26- التفسير البسيط للواحدي.
27- تفسير الجلالين.
28- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
29- تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي.
30- التلخيص في أصول الفقه للجويني.
31- تهذيب اللغة للأزهري.
32- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي.
33- تيسير التحرير لأمير باد شاه.
34- تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله.
35- جامع البيان للطبري.
36- الحاوي للفتاوي للسيوطي.
37- حسن المحاضرة للسيوطي.
38- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.
39- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى للإثيوبي.
40- رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين.
41- رسالة إلى أهل الثغر للأشعري.
42- الشامل للجويني.
43- شرح الطحاوية لابن أبي العز.
44- شرح العقيدة الطحاوية للبراك.
45- شرح العقيدة الكبرى للتلمساني.
46- شرح الكوكب الساطع للسيوطي.

47- شرح النووي على مسلم.
48- شرح صحيح البخاري لابن بطال.
49- صبح الأعشى في صناعة الأنَّشاء لأحمد بن بن علي القلقشندي.
50- الضوء اللامع للسخاوي.
51- العين للفراهيدي.
52- غاية المريد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن عبد العزيز.
53- الغيث الهامع لابن العراقي.
54- الفائق في أصول الفقه للصفي الهندي.
55- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
56- الفتح المبينّ لابن حجر الهيتمي.
57- الفصول في الأصول للجصاص.
58- فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني.
59- الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد الدهلوي.
60- القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب.
61- قوت القلوب لأبو طالب المكي.
62- كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء.
63- كشف الظنون لحاجي خليف.
64- الكليات للكفوي.
65- لسان العرب لابن منظور.
66- لوامع الأنوار البهية للسفاريني.
67- المجالس الوعظية في شرح صحيح البخاري للسفيري.
68- مجمل اللغة لابن فارس.
69- المجموع في المحيط بالتكليف لعبد الجبار المعتزلي.
70- المجموع للنووي.

71- المحصول للرازي.
72- المحيط في اللغة للصاحب بن عباد.
73- مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين.
74- مدارج السالكين لابن القيم.
75- معترك الأقران للسيوطي.
76- معجم البلدان للحموي .
77- معجم الصحاح للجوهري.
78- معجم العين للفراهيدي.
79- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر.
80- معجم المفسرين لعادل نويهض.
81- معجم المؤلفين لعمر كحالة.
82- معجم مقاييس اللغة لابن فارس لابن فارس.
83- مفاتيح الغيب للرازي.
84- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي.
85- الملل والنحل للشهرستانَي.
86- المنهاج في شعب الإيمان للجرجاني.
87- المنهل الصافي لابن تغري بردي.
88- المواقف للأيجي.
89- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.
90- النهاية في الغريب لابن الأثير.
91- النور السافر للعَيْدَرُوس.
92- هدية العارفين للباباني.
93- وأصول الدين للبغدادي.
94- الوفية باختصار الألفية للسيوطي.

almasadir walmarajie

'abkar al'afkar lilamdi.

1- al'iitqan fi eulum alquran lilsuyuti.

2- 'athar aliastishraq ealaa almanhaj aleaqdii al'iislamii lisaeid 'ahmad bin saghirin.

3- al'iijmae liabn almundhiri.

4- 'ahkam alquran liljasasi.

5- al'iihkam lilamdi.

6- 'adab almufti liabn alsalahi.

7- al'iirshad liljuayni.

8- 'usul alfiqh liabn muflah.

9- al'aelam lilzirkali.

10- al'iiklil lilsuyuti.

11- al'iimam alhafiz jalal aldiyn alsuyutiu likhalid altibae.

12- al'ansaf lilbaqlani.

13– al'iiman al'awsat liabn taymiatin.

14- lbahr almuhit lilzarkashi.

15- baghyat alwueat lilsuyuti.

16– bahjat aleabidin lilshaadhli.

17- taj alearus lilzubidi.

18- tabsit aleaqayid al'iislamiat lihasan 'ayubi.

19- altabsir fi aldiyn lilasfirayni.

20– tajrid altawhid lilmiqrizi.

21- altahaduth biniemat allah lilsuyuti.

22 tahifat almurid lilbijuri.

23- tashnif almasamie bijame aljawamie lilzarikashi.

24– altaerifat liljirjani.

25– altafsir albasit lilwahidi.

26– tafsir aljalalini.

27– tafsir alquran aleazim liabn kathirin.

28– tafsir tawilat 'ahl alsunat lilmatridi.

29– altalkhis fi 'usul alfiqh liljuayni.

30– tahdhib allughat lil'azhari.

31– altawqif ealaa muhimaat altaearif lilmanawi.

32– taysir altahrir li'amir bad shah.

33– taysir aleaziz alhamid lisulayman bin eabd allah.

34– jamie albayan liltabri.

35– alhawy lilfatawi lilsuyuti.

36– hasan almuhadarat lilsuyuti.

37– dar' tuearud aleaql walnaql liabn taymiatin.

38– dhakhirat aleuqbaa fi sharh almujtabaa lil'iithyubi.

39– rd almuhtar ealaa aldiri almukhtar liabn eabdin.

40– risalat 'iilaa 'ahl althaghar lil'asheari.

41– alshaamil liljuayni.

42– sharh altuhawiat liabn 'abi aleiz.

43– sharh aleaqidat altuhawiat lilbarak.

44– sharh aleaqidat alkubraa liltilmsani.

45– sharh alkawkab alsaatie lilsuyuti.

46- sharh alnawawiu ealaa muslimi.

47- sharah sahih albukharii liabn batal.

48- subh al'aeshaa fi sinaeat alannasha' li'ahmad bin bin ealii alqalqashandi.

49- aldaw' allaamie lilsakhawi.

50- alein lilfarahidi.

51- ghayat almurid sharh kitab altawhid lieabd alrahman bin eabd aleaziza.

52- alghayth alhamie liabn aleiraqi.

53- alfayiq fi 'usul alfiqh lilsafii alhindi.

54- fath albari liabn hajar aleasqalanii.

55- alfath almbyn liabn hajar alhitmi.

56- alfusul fi al'usul liljasasi.

57- fahris alfaharis lieabd alhayi alktanii.

58- alfawz alkabir fi 'usul altafsir li'ahmad aldahlawi.

59- alqamus alfiqhiu lisaedi 'abu jib.

60- qut alqulub li'abu talib almakiy.

61- kitab 'usul al'iiman fi daw' alkitaab walsunat linukhbat min aleulama'i.

62- kashf alzunun lihaji khalif.

63- alkuliaat lilkufwi.

64- lisan alearab liabn manzurin.

65- lawamie al'anwar albahiat lilsafarini.

66- almajalis alwaeziat fi sharh sahih albukharii lilsafiri.

67- mujmal allughat liabn fars.

68- almajmue fi almuhit bialtaklif lieabd aljabaar almuetazili.

69- almajmue lilnawawii.

70- almahsul lilraazi.

71- almuhit fi allughat lilsaahib bn eabadi.

72- mukhtasar sharh tashil aleaqidat al'iislamiat lieabd allah bin eabd aleaziz aljabrin.

73- mdarij alsaalikin liabn alqiami.

74- maetaruk al'aqran lilsuyuti.

75- muejam albuldan lilhamawi.

76- muejam alsihah liljawhari.

77- miejam aleayn lilfarahidi.

78- maejam allughat alearabiat almueasirat li'ahmad mukhtar eumr.

79- maejam almufasirin lieadil nuyhada.

80- muejam almualifin lieumar kahalatin.

81- muejam maqayis allughat liabn faris labn fars.

82- mafatih alghayb lilraazi.

83- almifham lamaa 'ushakil min talkhis kitab muslim lilqurtubii.

84- almalal walnahl llshhrstanay.

85- alminhaj fi shaeb al'iiman liljirjani.

86- almunhal alsaafi liabn tughri bardi.

87- almawaqif lil'ayji.

88- mawqif abn taymiat min al'ashaeirati, lieabd alrahman bin salih almahmud.

89- alnihayat fi algharayb liabn al'athir.

90- alnuwr alsaafir lleaydarus.

91- hadiat alearifin lilbabani.

92- wa'usul aldiyn lilbaghdadi.

93- alufiat biakhtisar al'alfiat lilsuyuti.